البيت الصامت

رواية للاستاذ محمد عبد الحليم عبد الله

مما تعاب به القصة القصيرة انها تشبه الرواية ، لا في طولها وتمددها ، بل في بنائها وسرد حوادثها ، وعدم التركيز على موقف محدد أو بؤرة شعورية تتسلط عليها أو تمتد منها كل الاضواء ، فيقال في عيب القصة القصيرة انها أشبه بملخص رواية .

فهل الامر كذلك اذا انعكس الحال ... أعني هل تعاب الرواية اذا أشبهت القصة القصيرة ؟ ولكن قبل الاجابة لا بد أن نعرف فيم أشبهتها ، ليس وجه الشبه هنا أيضا في القصر وقلة الصفحات أو الكلمات . ومما يهم أن نقول اننا هنا لسنا بصدد تحديد الحجم والكمية أو الحسم في تعريف يفصل بين الرواية والقصة القصيرة ، انما هي مشابه تعتري كلا من النوعين فتجعل أحدهما قريب الشبه من الاخر .

فاذا جاءت الرواية مثل القصة القصيرة في التركيز على الموقف المحدد او الوقوف عند اللحظة الشعورية للحفر حولها في النفس الانسانية فانها بذلك تقترب من القصة القصيرة وتأخذ بعض سماتها . ولا اريد ان اقطع بحكم عام ، فقد يؤدي ذلك الى الاملال بكلام لا يؤدي ولا يعطي ، وقد يكون على العكس .. يخلصنا من سرد حوادث طويلة مملة ويعطينا بديلا ممتعا ومفيدا من خلال التحليل والتشريح .

جالت في نفسي هذه الخواطر بعد أن فرغت من قراءة رواية « البيت الصامت » وهي الرواية الجديدة للاستاذ محمد عبد الحليم عبد الله . مأساة فتاة فقدت ـ في ظروف لا ارادة لها فيها ـ ما يحرص مجتمعنا على أن تقدمه العروس لعريسها ليلة الزفاف . لا يبدأ الكاتب ببدء المأساة انما هو يمكر بنا في مستهل الرواية مكرا أدبيا يجذبنا الى القراءة ، وسيظل القارىء معلقا بأحبولة هذا المكر حتى يعرف السر الذي نبع منه الموقف بعد مرحلة طويلة من سير القصة .

« انها لا تدري لماذا تذكرت هذا اليوم .. عاد اليها بتفاصيله مع انها كانت موقنه انها نسيته .. وعندئذ أحست بالخوف .. » .

هكذا يبدأ عبد الحليم عبد الله روايته الجديدة ، فيصور لنا العروس مرحة سعيدة تستعد ليوم زفافها ، ولكن يشوب هذه السعادة شعور خائف يلفها في غلالة من الاسى .

وما أن تدخل « درية » بيت زوجها « سلامة » حتى يبدأ الصمت .. لم يجد لديها « اللؤلؤة » .. أغلق باب الحجرة عليها وانصرف ..

لفتت أولا حكاية ثعبان لمسته يدها وهو مكوم بين أشياء ، فرمت نفسها من فوق ..

وراح يسخر منها : كنت واثقا انه ثعبان ..

ثم رأت أن تقول الحقيقة :

ـ سلامه .. حكاية (الثعبان) كانت كذبا .. اعذرني .. كنت أريد أن أقول لك شيئا يقنعك .. لكن الذي جعلني أكذب هو اعتقادي ان الصدق البسيط لا ينفع .. انا كنت فريسة .. حادث غير مفهوم.. حتى أمي لم تفهمه .. عندما حكيته لها .. وبعد ذلك لخوفي غير المفهوم حاولت أن أغرق كل شيء في النسيان .. لكنك ذكرتني بكل شيء مضى كأنني رأيت حلما وأنت فسرته .

كانت في الثانية عشرة من العمر حينما أرسلتها أمها الى صديقتها « زينات » لحاجة لها ، لم تكن ذهبت اليها في المسكن الجديد ، لذ لها أن تصعد الى أعلى العمارة التي لا يزال العمل جاريا في انجازها . لقيها هناك عامل شاب في العشرين من عمره ... وحملها بين ذراعيه وقد كتم أنفاسها بفمه .. ثم سادهما اضطراب ..

وكان جواب الزوج :

« يجب أن تفهمي أن المشكلة غير عقلية لكي تهضم بهذه الطريقة » ..

وكان قراره :

« أن نبقى زوجين فلا أحاول أن أصير أبا ولا تحاولي أن تصيري أما » .

وأخذت هي تفكر . هل ستكون زوجة تحت التجربة او عشيقة ؟ على ان هناك مرتبة ادنى من الاخيرة هي مرتبة « المأجورات » مع فارق في دقة الشعرة لكنه في حدة السيف .. فلا هي عشيقة ولا هي مأجورة ولا هي زوجة ..

وراح عبد الحليم يحفر حول هذا الموقف ، ويعيش أغواره ، ويستنبت فيه ...

ونراه يستعين بعدة اشياء لاخصاب الموضوع ، فالبيت قريب من سجن طنطا ، وقد نسيت أن أقول لك اننا في مدينة طنطا . وتبدو نوافذ السجن من نوافذ الشقة ، وتستشعر الزوجة مشابه بين السجن وبين حياتها في هذا البيت الصامت . وتحت نافذتها رفاء يرفو ثقوب الثياب ، وستتعرف بجارة لها هي زوجة سجان حمل الى شقته تمثالا صنعه سجين ، يمثل طائرا له جناحان من الحجارة يحاول أن يطير ..

والزوج كمساري في سكة الحديد ، يروح في القطارات ويغدو مشاهدا ما يقع فيها من اعاجيب ، ويجيء ذات يوم ويقص عليها قصة فتاة زماها أخوها بين عجلات القطار من الفجوة بين العربتين ، ويدل التحقيق على ان اهلها لم يرضوا عن سلوكها .. ويعلق سلامة على الحادث بما يثير مخاوف درية ، وتظل هي تقلب الحادث في فكرها وتقارن بينها وبين الفتاة .

وتشاء الظروف ، أو يشاء المؤلف ، أن يكون الفتى الذي تنشأ بينه وبين الزوجة عاطفة تهب منها على حياتها نسمات جديدة ـ ان يكون طالبا بمعهد الخدمة الاجتماعية ومشغولا باصلاح الكون .. كما تقول أمه الجارة زوجة السجان ، وقد التقت به في أثناء زيارتها لامه ، ويتكرر اللقاء كلما جاء من القاهرة . وهو فتى ظريف ووسيم ومملوء بحيوية الشباب ، وهو في الوقت نفسه مشغول الفكر بالقضايا الاجتماعية ، وتأتي المناسبة لمناقشة قضية فتاة القطار بطريقة عامة دون أن يعلم الفتى انها مأساة الفتاة التي يتحدث اليها . كانت معه جريدة نشرت حادث فتاة القطار وفيها صورة الزوج الكمساري كشاهد في الحادث . سألته درية :

ـ ما رأيك في هذا كانسان يدرس المجتمع ؟

أجاب :

ـ في نيتي أن أعمل بحثا عن هذا الموضوع .

وقال لها فيما قال :

« هناك حوادث من الممكن أن تعتبر من أخطار المهن ، فالذي يصيب فتاة السيرك بسبب الوثبات العنيفة لا يمكن أن تحاسب عليه، وهو في رأيي مثل الذي يصيب بعض الريفيات من التعرض ـ بحكم العمل ـ لخطر يمكن ان يعتبر في الموضع الثاني بعد خطر المهنة » .

واستطرد :

« قال لنا أحد مدرسينا ان الريفية التي تنام في خيام العمل مغتربة في الشتاء او في الخلاء صيفا بعد مشقة اليوم بين العمال يمكن ان يعتبر ما يصيبها من أخطار المهنة ، اذ كيف يمكن التوفيق بين (الحراسة والنوم) على رأي هذا المدرس ، فالمفروض ان ننظر الى الظروف قبل أن ننظر الى الحوادث » .

وتستريح نفسها الى العبارة الاخيرة ، وتتذكرها في خواطرها بعد وهي تجتر اثار الظلم الذي تشعر به دون ان ينظر ظالها الى الظروف ..

وقبل ان نمضي في تعرف بقية الحوادث نلحظ في مسألة الريفية العاملة أمرا لا نراه مألوفا ، وهي أن تغترب في العمل وتنام بين العمال .. قد تكون هناك بعض وقائع من هذا القبيل ، ولكن باعتباري ريفيا لا أعلم الا أن أخلاق ريفنا لا ترتضي ذلك ، فالريفية التي تعمل لا يمكن ان تغترب كعمال الترحيلة مثلا ، ولم نسمع قط عن عاملات ترحيلة .

ثم ثارت درية على المهانة التي تلقاها في البيت الصامت ، فخرجت منه وهي تقول لسلامة :

« لن أترك في هذا البيت الا الاشياء غير المهمة : أنت والعفش »

وذهبت الى بيت أبيها وكانت حاملا .. وذهب اليها هناك «سمير» ابن جارتها ، وخرجا معا يطوفان بالشوارع المظلمة ويتناجيان . وقام في نفسها صراع .. انهته فيما بينها وبين نفسها بأنها عوقبت وهي بريئة ، فلتخطىء بعد أن وقعت عليها عقوبة الخطأ .

وأحس الفتى هو الاخر بصراع .. لماذا فعل هذا ؟ هل يتزوجها ؟ هل يهرب من المسؤولية ؟ انه يحبها ، ولكن ليت ابويه لا يعرفانها ..

وهي في الحقيقة .. لم ينته صراعها .. بل بدأ عنيفا بعد الخطيئة ، وتركز الصراع بينهما وفي نفس كل منهما حول الطفل الذي في بطنها ..

وشعرت بخيبة املها في هذا الذي احبته ، اذ تراه امامها يتغير ويحاول النكوص .

وأخيرا أرادت أن تتخلص من اثار الرجال جميعا .. فلجأت الى الاجهاض ، وتخلصت من الجنين ، ثم جاءها نزيف قضى عليها ..

وفي القصة شخصية أخرى .. رجل ريفي اسمه (حسن شيحة) كان يأتي لهم بالزبدة من البلد ، وأحب درية حبا صامتا ، ووقف على مأساتها ، وحاول ان يعرب لها عن عاطفته ، وجاء ذلك في الوقت الذي بلغت فيه المأساة قمتها ، ورسم الخطة أن يتزوجها بعد ان تتخلص من الطفل ، وقادها الى الممرضة التي أجهضتها ..

وقد رسم المؤلف شخصية « حسن شيحة » رسما حيا جعلنا نشعر بحياته في الواقع، اكثر مما فعل بالنسبة للشخصيات الاخرى.. على ان من ميزات هذه القصة الاجادة في رسم جميع شخصياتها .

ويهزنا في النهاية وفاء حسن شيحة للمرأة الوحيدة التي أحبها، ولعلها الانسان الوحيد الذي أحبه .. هذا الرجل الذي يسلك كل طريق للوصول الى ما يريد ، ولم يكن يشعر بأية كرامة .. نراه في الموقف الاخير وقد طهره الحب وأعاد اليه كرامته كانسان .. نراه ينفذ ما أوصته به فيلقي في صندوق البريد بخطابين كتبتهما الى سلامة وسمير دون أن تحدثه نفسه بفضهما والاطلاع عليهما . وفي خطابها الى زوجها تلخص القضية كلها في كلمات .. « ليس كل فتاة تحمل كلمة السر تستحق الدخول وليس كل فتاة لا تحملها تستحق الطرد » .

وقد صور المؤلف هذه القضية الجنسية ومواقف جنسية اخرى في موضوعية نموذجية وفي تعبير لبق عف مهذب محترم ، مترفعا عن أسلوب الاثارة الذي يلجأ اليه « تجار » القصص .

***

الاستاذ محمد عبد الحليم عبد الله كاتب وجداني مفكر ، وكثيرا ما نرى زحمة الافكار في كتابته ، وقد تخفف هنا من هذه الزحمة .. تخفف منها في معظم الرواية ، برغم تحميلها للشخصيات في غير أثقال ، وظل كذلك حتى الجزء الاخير الذي نراه فيه يحمل دربة ما لا طاقة لها به وما يرتفع فوق مستواها .. فهو مثلا يجعلها تتكلم كأبي تمام الشاعر حينما قيل له : لم لا تقول ما يفهم ؟ اذ تقول لصاحبها : يجب ان تفهم ما يقال يا أستاذ سمير (ص ٢٠٤) .

ومن العبارات التي تثقل على مستواها قولها لسمير عقب ذلك :

« من منا مكلف أن يعطي الاخر على حساب نفسه ؟ » .

« ربما كنت خائفة على نفسي عن طريق خوفي عليك » .

ويدلنا عمل الاستاذ عبد الحليم في هذه الرواية على جده واخلاصه وما وصل اليه عن طريق الجد والاخلاص من تطور وتقدم ، لقد تخلص من الرهبة في بدء الرواية ، تلك الرهبة التي كانت في رواياته الاولى تمثله كتلميذ يقف امام المعلم مطئطئا متلجلجا .. ثم لا يلبث أن ينطلق لسانه في اجابات يثق بها . انه هنا يثق بنفسه من أول الامر ، فيستولي على القارىء منذ البدء ويمتلك زمام شوقه .

وقد تحرر من بعض القيود اللغوية التي كان يلتزمها في كتابته الاولى ، فهو مثلا يقول هنا « وابور الجاز » وكان قبلا يسميه « موقد النفط » .

وقد سهلت عباراته وعذبت واقترب حواره من الواقع الحي اكثر مما كان .

وقد أعجبتني تعبيرات كثيرة الى درجة أوقفتني عندها شاعرا بالمتعة الادبية ، ولعلك تشاركني هذه المتعة في هذا الذي أنقله من هذه التعبيرات ، ونلحظ فيها التعبير الجميل الذي عرف كاتبنا بالاكثار منه .. يصف حبل الغسيل المشدود في النافذة وما عليه – بعد ترك الزوجة لبيت زوجها – فيقول :

« والحبل المشدود فوق رف الاصص عليه منديل غسلته يد رجل غير نقي البياض . ومشابك غسيل من الخشب تعض الحبل الخالي وقفت عليه كأنها جراد » ..

ويصف حسن شيحة وهو يدخل متلهفا على المرأة التي اشترك في تدبير اجهاضها :

« فدخل مهرولا ، قلبه يسبق خطواته كعصا المكفوف » .

ومثل ذلك ، وقد يكون أروع منه ، كثير مثبوت في الرواية .

ملاحظة أخيرة .. لقد بدأ عبد الحليم عبد الله كاتبا روائيا لا يعنى بالتركيز والدوران على محور واحد ، حتى لقد كانت الرواية تشتمل على قصة متفرعة تكاد تنفصل عن الاصل ، وكان يكتب القصة القصيرة فتجيء في بنائها كالرواية .

وشيئا فشيئا عنى بالتركيز ولم الشتات ، فأجاد القصة القصيرة حتى أخرج منها ما يعد نماذج لهذا الفن في ادبنا المعاصر ، ويتجلى ذلك في مجموعتيه الاخيرتين : « خيوط النور » و « حافة الجريمة » .

وها نحن أولاء نراه يكتب الرواية كالقصة القصيرة على نحو ما أوضحت في اول هذه الكلمة .

والسؤال الاخير الذي اطرحه للنظر والبحث هو :

هل ترتقي الرواية فنيا اذا أخذت سمة القصة القصيرة ؟

القاهرة

عباس خضر

ميرامار

رواية بقلم نجيب محفوظ

مرة اخرى يقودنا القصصي العربي الاول نجيب محفوظ عبر الاجيال ، عبر تطور الفكر وصراعات الانسان العربي النفسية والفكرية في أسلوب واقعي شيق لينـاقش ويعالج ويحلل . يقول التاريخ انه مع كل حركة تطور لا بد أن يسقط عديد من الافراد تائهين في منتصف الطريق بحثا عن لا شيء ، او عن شيء لا يدركون كنهه بعد ، تماما كذرات غبار عابثة في وجود بلا معنى . مصر الثورة ليست مصر القديمة، مصر الاقطاع والجهل والمرض ، مصر الترف والمترفين ، فعجلة الزمان تدور . تطور كل شيء في العالم ، وأفاق العالم العربي ليلحق بالركب، تطورت مصر العربية في الفكر والعلم والاقتصاد والسياسة ، ومرة

أخرى يسرد محفوظ أبعاد هذا التطور الفكرية والنفسية ممثلة في مجموعة طريفة غير متجانسة من الشخصيات مجتمعة في بنسيون ميرامار بالاسكندرية . لا يكتفي محفوظ بالذي لديه فقط ، فاذا به يعود ليتقصى الماضي بأبعاده التاريخية والاجتماعية كخلفية للحاضر تشرحه وتوضحه . ومن الواضح ان شخصيات نجيب محفوظ في ميرامار سلبية الى حد كبير في الشكل العام ، فمنهم من ضاع في العبث ومنهم من استغرق في الخداع ومنهم من حار في الطريق ومنهم من آمن وعجز عن العمل ، لكن الصفة التي تجمعهم هي الحيوية والواقعية في الروح والمشكلة . والان ، اي من الافضل ان ننتقل الى ميرامار باحداثها المشوقة وشخصياتها البارعة .

يبدو ان الموسم الشتوي جيد في بنسيون ميرامار بالاسكندرية، فها هي حجراته كلها ملأى ، وزهرة الخادمة الريفية الحسناء تؤدي عملها بالنشاط ، وماريانا صاحبته اليونانية العجوز مبتهجة بالخير والزبائن وبالاحرى بالذكريات الحلوة المنصرمة . عامر وجدي صحفي عجوز وفدي ، طلبة مرزوق وزير سابق واقطاعي عتيد ، حسني علام شاب ثري تنكر لطبقته ، بلا شهادة ولا عمل ، منصور باهي شاب ثوري الفكر شديد الانطواء يعمل مذيعا ، سرحان البحيري وكيل حسابات لشركة ، شاب ريفي متحمس للثورة لكنه زير نساء وهو على ما يبدو يقيم علاقة حب مع الخادمة زهرة . اعتقد ان هذا الوصف المبدئي يعطي فكرة عن مدى واقعية هذه الشخصيات اللامتجانسة والمتنوعة بشكل يوحي مسبقا بجو قصصي راق .

ان لقصص نجيب محفوظ جانبين : جانب نفسي تحليلي ، وجانب اخر يعتمد على التاريخ والفلسفة في بحث المجتمع ومفاهيمه ككل . والامر واضح في ميرامار ففيها يتابع نجيب محفوظ اسلوبه الجديد الذي بدأه في طريقة عرض ثرثرة فوق النيل ، وهي تقديم القصة لنا من خلال اربع وجهات نظر متباينة هي : عامر وجدي وحسني علام ومنصور باهي وسرحان البحيري ، فمن هم هؤلاء الاشخاص ؟ وما هي قصتهم ونفسياتهم ؟ ما هي مصر من خلالهم ؟ وما علاقاتهم ببعضهم ؟

عامر وجدي ـ الراوي الاول ـ صحفي عجوز نفته ميادين الصحافة بعد ان استهلكت نشاطه المخلص مع اجيال النضال ، نفته ليقضي اخر ايامه في ميرامار بنسيون الشباب والذكريات ، نفته ليجتر مواقفه القديمة فيفكر ويتحسر : « لم يبق الا القليل والدنيا تتنكر في صورة غريبة للعين الكليلة المظللة بحاجب ابيض منجرد الشعر » . ومن البداية هذه تشي كلمات عامر العجوز بعدمية يائسة ، فما الكفاح والتضحية والمجد سوى عبث بالنسبة للانسان ، سوى لا لزوم يفاجئك به الدهر ذات يوم : « وقال من عينه الزمن الهازل رئيسا للتحرير : زمن البلاغة ولى ، هل عندك عبارة تصلح لراكب طيارة ؟ » لكن عامر وجدي يأبى بكبرياء ان يلعب مهرجا مع بهلوانات الصحافة ، فيهجر الصحافة . ويعامل الصحفي العجوز الاخرين دائما بود وحذر ، لكنه يرثي لماريانا ، رغم انه يفهمها ، ويكن محبة ابوية عميقة لزهرة . وكم يفرح قلبه المفضن بلقاء الشباب ، خاصة عندما يتذكره المذيع منصور باهي ككاتب ساهم في التهيئة للثورة الحديثة ، وعامر وجدي يشفق حتى على طلبة مرزوق الذي يمثل طبقة الرأسمالية المندحرة . ومن خلال عامر وجدي نلمح صورة خلفية لصراع الاحزاب والنظريات في مصر : الاقطاعية والثورة ، الوفد والملكيين ، روسيا واميركا ، الشيوعية والاخوان . انه بصراحة يمثل عددا كبيرا من رجال ما قبل الثورة : رجال النهضة . انه لا يحب الاخوان ولا يفهم الشيوعيين ، انه لا يؤمن بالله كليا ولا يلحد كليا ، انه الانسان العربي بين تيارين .. بين جيلين .. تائه ما بين التيارات المعقدة .. واقف في منتصف الدرب .. وحيد كأقصى ما تكون الوحدة ، ومهجور في عالم الشك :

« اللعنة . منذا يزعم انه عرف الايمان . قد تجلى الله للانبياء ونحن أحوج منهم الى ذلك التجلي . وعندما نتحسس موضعنا في البيت الكبير المسمى بالعالم فلن يصيبنا الا الدوار » . ان مشكلة الايمان هنا في عمقها لتتشابه مع عمق كتاب حديثين أمثال بيكيت واونيسكو وكوكتو وكامو وسارتر . وعبارة عامر وجدي السابقة تتشابه في نتيجتها مع عبارة هوغو بطل « الايدي القذرة » لسارتر : « غريب أن يكون الانسان حرا !! انه ليصاب من ذلك بالدوار » . عامر وجدي انسان يشعر بذات الدوار ، فهو يردد اراء الشيوعيين ويقرأ سور القرآن ، انه حائر رغم الاعوام الطويلة والجسد المفضن العتيق ، فمشكلة الله مشكلة « لا عقلانية » ، كما يقول الفيلسوف الوجودي الالماني كارل يسبرز ، ان حلها هو بالايمان أو عدم الايمان . والحل الذي يفترضه نجيب محفوظ هو ذات حل ثورة مصر الحديثة السياسية ، أي الجمع والموافقة بين القديم والحديث عن طريق الاشتراكية المدروسة . وتتوتر العلاقات في ميرامار في عدة مجالات : زهرة على علاقة حب مع سرحان البحيري ، عشيقة لسرحان تثير فضيحة في البنسيون عندما يهجرها ، زهرة تقرر أن تتعلم ، سرحان يتشاجر مع خطيب مرفوض لزهرة ثم مع حسني علام ، سرحان يهجر زهرة على امل الزواج بالمدرسة لكنه يطرد من البنسيون بعد مشاجرة مع منصور باهي أيضا . وفجأة ، بعد أيام قليلة ، يقرأ نزلاء بنسيون ميرامار ان سرحان البحيري وجد قتيلا في أحد الشوارع . وهكذا ينتهي الراوي الاول من قصته .

✶

عبث هي الحياة بالنسبة لحسني علام ، انها تبدأ من لا شيء وتنتهي الى لا شيء . المشروع لا يدري ما هو ، طبقته يرفضها ، الثورة ينعزل عنها ، وأفكاره يغرقها في الجنس برغبة شبقية حادة . « انه لم ير أمه .. وتركه أبوه في السادسة » لذلك تربى في أحضان الدلال على يد عمه الذي لم يكن ليقسو عليه أبدا ، وربما كان هذا أحد الدوافع النفسية لعدم اكتراثه . لكن الدنيا تغيرت ، فأصبح المجد للشهادة والعمل ، لم يبق هناك مجال لعاطل كسول ، لم يبق أمام حسني علام الا ذلك الفراغ المقيت يستنزف وجوده . وتلقى حسني أول صدمة عندما نوى الزواج وكل مؤهلاته أرضه وجاذبيته الخاصة ، ورفض مباشرة لانه « غير مثقف ، والمائة فدان على كف عفريت » . وغاصت الطعنة عميقا جدا في لا شعوره ، لكنه لم يحقد على الثورة قدر حقده على طبقته ، انه يعطف على الثورة ولكن في سلبية عاجزة : « ثورة . لم لا . كي تؤدبكم وتفقركم وتمرغ أنوفكم في التراب . يا سلالة الجواري . اني منكم وهو قضاء لا حيلة لي فيه » . ورد حسني على الاهانة هو الاغراق في الجنس كأنه يصفع به وجه من صفعته بالحقيقة اللاذعة ، ولكن عقدة الجنس تتأزم عنده فقد أصبح يشعر ان وجوده مجاني ، مجرد عبث سخيف وجنون لا معنى له . انه ينسى ببساطة اسم فتاة ضاجعها في ذات يوم ، كما ينسى كل شيء . اللحظات تتسلل هاربة ومظاهر الحياة اليومية تبهت في العدم بديمومة مستمرة . وينافق حسني علام ويفاخر مخادعا نفسه : « ولكني سعيد بحريتي . لقد قذفت بي طبقتي الى الماء . القارب يميل الى الغرق ، ولكني سعيد بحريتي . لا ولاء عندي لشيء . سعادة عظمى ألا يكون لك ولاء لشيء . لا ولاء لطبقة أو وطن او واجب. لا أعرف عن ديني الا ان الله غفور رحيم » . انه منفصل عن أي انضواء ايجابي ، عن أي التزام . يقول المربي لاورست بطل مسرحية الذباب : « ها أنت الان شاب ، غني وجميل ، محنك كالشيوخ ، متحرر من كل العبوديات ومن كل المعتقدات ، لا عائلة ، لا وطن ، لا دين ، لا مهنة، حر لتلتزم ما شئت ، ومدرك انه لا ينبغي للانسان أن يلتزم ابدا . ومع ذلك فانت تشكو ؟ » . ان نجيب محفوظ يتساءل هنا تساؤل كتاب الالتزام الاشتراكيين : ما فائدة هذه الحرية ؟ وهو يؤكد معهم انها فراغ ممل ، وطعمها مر مرارة العلقم . وأورست يقول : « الكلب أغنى ذاكرة مني : انه يعرف ان له سيدا ، سيده . أما أنا فماذا لي ؟ » . ولكن حسني علام ليس بطل القصة ، ولهذا فمحفوظ يهمل معالجة قضيته حتى النهاية . انه يتركه تائها بين الحانات والمواخير

يتجرع الخمر والجنس والضياع ، يحلم بمشروع ناجح يبدو أخيرا انه ليس الا امتلاك كباريه . وهكذا يمضي علام متسائلا في سلبية محضة عن وجوده المقلق . اننا نتركه كعـــادته ملولا يشكو .. ويشكو .. ويشكو : « ما أضيق الاسكندرية في عيني سيارة مجنونة . اني أمرق فيها كالهواء ولكنها انقلبت علبة سردين . الليل يتبع النهار فـــي اصرار غبي ولكن لا شيء يحدث على الاطلاق . ورغم ان السماء تتزين كل يوم برداء . والطقس كالبهلوان لا يمكن التنبؤ بحركته التاليـة ، والنساء يقبلن في ألوان لا حصر لها . فلا شيء يحدث على الاطلاق . الكون في الحقيقة قد مات وما هذه الحركات الا الانتفاضات الاخيـرة التي تند عن الجثة قبل السكون الابدي » . واخيرا عندما يعـلم حسني علام بمصرع سرحان يصيح متابعا بلا اكتراث : « لقد وضحت لي معالم الطريق ، فليمت من يموت وليعش من يعيش .. فريكيكـو لا تلمني » .

✶

« أن تؤمن وأن تعمل فهذا هو المثل الاعلى ، ألا تؤمن فذاك طريق اخر اسمه الضياع ، وأن تؤمن وتعجز عن العمل فهذا هو الجحيم » . ومنصور باهي الشاب الرقيق يعاني بشدة من لسع هذا الجحيم . لقد هجر منصور الحزب العامل فيه بناء علىاصرار أخيه ضابط الشرطة الكبير بل تحذيره . وبناء على نصيحته التجأ الى الاسكندرية يعذبـه شعوره بالذنب ، فمقاومته الضعيفة وارادته المترددة جعلته استسلاميا سلبيا . وقبض على رفاقه كلهم وعلى رأسهم (فوزي) صديقـــه وأستاذه ، والرجل الذي تزوج (درية) التي يحبها منصور منـذ القديم . ويزور منصور درية يحاول مد يد العون لها ، بل لنفسـه في ذات الوقت . وها هو يحاول أن يبرر نفسه وموقفه امامها ، انـه يؤكد انه عمل ليعود الى الحزب فرفض خوفا من أن يكون عينا لاخيه ضابط الشرطة . وفجأة ينكشف له ان حبه لدرية ما زال حيا ينبض، ويتصارحان ، فاذا بالالم الحاد يعذب أعماق روحه اكثر ، ان حروف كلمة « الخيانة » تتضخم امام عينيه كالكابوس لتملأ كل شيء .. لتغطي كل شيء : « العفن يجري مع الهواء ولعله يصدر أصلا من ذاتي أنا » . ويحاول أن يلجأ الى رأي زهرة ، الى الفطرة ، علها تمنحه تبريرا . وبدون أن تشعر يسألها عن رأيها في « شخص خان دينه ! وخـان صـديقه وأستاذه ! » وعندما يلمح استنكارها لمثـــل هذا الشخص يسألها : « هل يغفر له الذنب انه يحب ؟ » ولكن جواب البراءةالفطرية الطاهرة يصدمه : « حب الخائن نجس مثله ! » . منصور هو أحـد أفراد جيل يؤمن بالعمل ، بالانتاج ، بكون الانسان صبوة تجـــاه مشروع ، انه من جيل الثورة في أفكاره : « العبرة بما نعمل لا بمـا نفكر ، واذن فأنا مجرد مشروع ... » لكنه غدا مشروعا فاشلا .. فهو يفكر ولا يعمل . انه في نظر نفسه ونظر رفاقه « خائن » وهذا يقـود منصور الى انطوائية مغرقة في اليأس السلبي ، بل الى نفسيـــة تشاؤمية مرضية mélancholic . أما في بنسيون ميرامار فيبدو منصور بعيدا عن الباقين ، رغم ان له اراء عنهم ، حتى النهاية عندما يتوحد الحدث القصصي ، منصور مثلا يحب عامر وجـــدي وزهرة ويشفق على ماريانا ، بينما يكره سرحان لمجرد انه يذكـــره بلؤم الخيانة ، كما يكره حسني علام بعد محاولته اغتصاب طهـــارة زهرة خلال سكره الشديد ذات ليلة . أما بالنسبـــة لطلبة مرزوق فمنصور يكن شعورا محايدا ، مزيج احساسين من الرثاء والشماتة . وفجأة تحين لحظة سعادته .. اللحظة المنتظرة منه ومن حبيبتـــه درية ، ففوزي قد منح درية حق التصرف بحياتها كما تشاء . ويدرك منصور ان الشائعات وصلته حتى الى وراء أسوار السجن . وكالمجنون الذاهل يطلب اليها أن ترد « هبته الكريمة » . ان ضميره لا يستطيع تحمل وزر أكبر ، وسعادته سوف لن يبنيها عـــلى خيانته هو ، وتضحية صديق . في ذات الوقت الذي يتحول فيه منصور هـــذا التحول شبه الايجابي يكشف سرحان النقاب عن خيانته لزهـــرة ، فيثور منصور الهادىء عادة ويشتبك معه بمشاجرة يطرد سرحان بعدها من البنسيون . لكن منصور ينطلق ليعثر على سرحان في كباريه حيث ينتظر شخصا ما . وهناك يتخيل انه قد قتله في الشارع بمقص ، فيخرج ذاهلا ليعثر عليه بعد قليل طريح الرصيف المظلم فينهال عليه ركلا بقسوة ، ينهال بالاحرى ركلا على الخيانة . وفي اليوم التـــالي يسلم نفسه للشرطة معترفا بما ظنه جريمته الى أن يتكشف ان سرحان قد انتحر ولم يقتل .

✶

ليس هناك كثير عن سرحان البحيري للتحليل ، فهو شاب ريفي وسيم يدعي الثورة بينما يبحث مخادعا عن لذاته ومصالحه . لقـد خان أولا صفية ، عشيقته الرخيصة ، ثم خان عمله عندما دبر مع زملاء مؤامرة لاختلاس اموال للشركة ، اموال الشعب في الاصل ، لينفقها على حياة عربدته ، وأخيرا خان زهرة بعد أن بذل مساعيه للنيل مـن عـذريتها ومستقبلها ، علـى أمل الزواج بمـدرستها ذات الدخل . اذن ، فهو الثوري بلا ايمان حق ، انه الرمز لكلمة « الخيانـة » . وعندما يفشل سرحان في الحب والعمل والمستقبل والزواج ، عندمـا يشعر ان مصيره المحتوم هو السجن والاحتقار لا يبقى لديه من حـل سوى الانتحار . وهكذا ينهي حياته بموسى حلاقة خلال حالة سكـــر شديد ليسقط طريح أرض الشارع .

✶

اما باقي الشخصيات المساعدة وأعني ماريانا وطلبة مرزوق فأفضل تعريف لهما هو ما يقوله محفوظ على لسان منصور باهي . فماريانـا « امرأة غريبة ومسلية ومرهقة ، امرأة عند الزوال ، لم أشهدهـــا وهي عروس الصالونات ، ولكن يمكن تخيلها ، على ضوء الفانتـــات والطفاة يمكن تخيلها ، ولكني لم أعرفها الا وهي خرابة اثرية تتعلـق عبثا بأذيال الحياة » . وصورة عجوز محفوظ المتصابية ماريانا تذكرني بشدة بعجوز كازانتزاكي في قصة « زوربا » ، فهي تعيش ذات المأساة وتملك ذات الشخصية . أنا شخصيا أعتقـــد ان محفوظ اقتبس شخصية ماريانا من العجوز الناجحة في « زوربا » . وعلى فكـــرة ، فالاثنتان يونانيتان . اما بالنسبة لطلبة مرزوق ، فمنصور يعرفه قائلا « استرقت نظرات الى طلبة مرزوق لم يقرأ معانيها أحد . أجلعاودتني ذكريات حميمة ، أحلام دموية ، صراعات طبقية ، كتب وتجمعـــات ، بنيان من الافكار راسخ الاساس . راعني ترهله وانكساره وحركـــات شدقيه ، وقبوعه فوق مقعده باستسلام ، وتوددة الى الثورة بـــلا ايمان ، وكأنه لم يكن من السلالة التي شيدت قلاعها من اللحـــم والدماء . أخيرا جاء دوره ليمارس النفاق بعد أن خلف مجده المتهدم الذابل أمة من المنافقين » . الصورة هنا جامعة وجلية ، فهي تذكرني بأسلوب الكتاب الروس الكبار وخاصة دوستويفسكي .

عندما نتساءل مـن هـو اكثر الشخصيات اهمية في « ميرامار » لا أجد الا جوابا واحدا ، رغم كل الظواهر المتناقضة ، هو : منصـور باهي . فمنصور يقف كحجر أساس للقضية الرئيسية ، يمســـك بيديه خيوطها المرتبطة بباقي الشخصيات : بسرحان ، بزهرة ، بعامر، وبـدرية وفوزي . أمـا حسني علام او سرحان البحيري فمشكلاتهما فردية وجانبية في « ميرامار » رغم عمق تحليلها . ولو نظرنا الـى شخصية منصور لرأينا من الوهلة الاولى حبا للعزلة وانطواء الذات . انه يقف هنا مضادا لحسني علام ، العربيد الذي حاول خلال سكره أن يعتدي على زهرة ، ولسرحان الذي خدعها وهجرها . وقليلا قليلا ندرك مأساة شعوره بالذنب وعذابه الاليم بسببها ، لقد تخلى عـن الواجب ، عن رفاقه ، وعن شرف الاخلاص لصديقه وأستاذه . ولكن في أعماق منصور ألم رغبة في الالم .. في تعذيب النفس .. وكـان في هذا التعويض عما فعل . ويسوق منصور نفسه برغبة مازوكيـة شديدة ليعيد صلة حبه بدرية وهو يعلم ان عذابه المرهق ســـوف يزداد ويشتد بذلك : « ووجدت رغبة طاغية تدفعني الى الحضيض

كأنما الحضيض غاية منشودة تطلب لذاتها ، أو كأن الجحيم أمسى هدف الانسان النهم الى السعادة » . وها هو يرفض فرصة السعادة عندما تأتيه ، فهي سعادة مبنية على الالم . درية سوف لن تتحمل الحياة مع انسان يكره نفسه . ومن أول مرة يصارحها فيها ان حبه لم يمت يعترف بسذاجة برغبته المازوكية في الالم كتعويض : « لا أدري ماذا قلت ، ولا كيف قلته ، ولكن ثقي من انني لا يمكن ان أسعى للسعادة ! » وواضح هنا كم تشي الكلمات بأبعاد فكرية ونفسية عميقة . ومنصور لا يحقد على سرحان البحيري لانه يحب زهرة ، بل يحقد عليه لانه يخون زهرة . انه في الواقع لا يكره سرحان الا كرمز « للخيانة » ، ربما في ذات ذاته هو ، وموقفه الاخير تجاهه هو واحد من اكثر المواقف ايجابية في القصة كلها . فهو يرغب في قتل الخيانة في ذاته ولذلك فهو يقتلها خارجيا ، انه يطردها بعيدا مع الجبن والتقاعس .. انه يركلها بعنف في جسد سرحان الملقى على رصيف الشارع في ليلة معتمة .

لنجيب محفوظ براعة عجيبة في موازنة شخصياته بدقة . انه يربط بينها بمقارنات ومفارقات تلقي مزيداً من الضوء على أبعادها ومواقفها . وفي « ميرامار » يطرح محفوظ روابطه هذه بشكل رئيسي في العلاقة بين زهرة وكل من الشخصيات الاخرى . والعلاقات عند محفوظ مزدوجة في حد ذاتها : أي ان القارىء يرى علاقة سرحان بزهرة مثلا بوضوح بينما يرى الدارس علاقة زهرة بباقي الشخصيات. وهذا التوازن يعطينا الكثير عن ابطال ميرامار ، فدعنا نستعرض هذه العلاقات.عامر وجدي اول الشخصيات يقارن حياة زهرة بحياته: « ادركت أشجانها . لقد هاجرت مثلها مع والدي من القرية . وأحببت القرية مثلها ولكني ضقت بالعيش فيها . وعلمت نفسي كما تود ان تفعل . ورميت مثلها بتهمة باطلة فقال أقوام اني أستحق القتل . ومثلها فتنني الحب والتعلم والنظافة والامل . الله أسأل أن يجعل حظك اسعد من حظي يا زهرة » . والعلاقة هذه ليست فردية فحسب ، انها علاقة ابن الريف بمظاهر المدنية المتحضرة . اما منصور باهي فسرعان ما يعقد مقارنة بين أله وألم زهرة عندما يكشف سرحان عن حقيقته : « ونظرت الى وجه زهرة الشاحب ، ودموعها الجافة على الوجنتين ، ونظرتها الكسيرة الذابلة ، فخيل الي انني أنظر في مرآة ، وان الحياة تطالعني بفطرتها الخشنة الفظة الرهيبة ، بامكانياتها المجردة ، بصمودها الصلب المغطى بالاشواك ، بامالها الخبيئة في قوقعة مسمومة الاطراف، بروحها الابدية التي تجذب اليها المغامرين واليائسين فتقدم لكل غذاءه . لقد سلبت الشرف وهجرت بلا كبرياء . اجل انني انظر في مرآة » . حتى حسني علام العابث يربط نفسه بشخصية زهرة بتساؤلات : « وأنت يا زهرة .. تحبين الثورة ؟ » ويمتد عبث حسني الى زهرة لكنه يصد بشدة فيكرهها وهذا تقييم حسن لها . أنا شخصيا أعتقد ان زهرة هي احدى الشخصيات الايجابية القليلة في القصة : انها ثائرة ، حرة ، جريئة ، ومليئة بالثقة والامل . وزهرة هي الشخصية ذات العلاقة الوثيقة بكل الشخصيات الاخرى ولذلك فانا أعتقد ان لاسم « زهرة » دلالة رمزية تهدف للتعبير عن البراءة والطهر والامل ، انها الحرية والكفاح والمحبة ، وهي لذلك تقف كمعاكس لرمز سرحان . وفي النهاية ينبذ الطهر الخيانة فلا تستطيع أن تدنسه، ونحن نرى زهرة تتابع كفاحها في الوجود بينما تلقى الخيانة بأنواعها مصرعها مهملة حقيرة . والعلاقة المتوازية التي اعجبتني جدا في « ميرامار » هي بين الشخصيتين الثانويتين وأعني ماريانا وطلبة مرزوق . كل منهما يعيش على فتات ذكرياته ، على أيام المجد والرخاء، وكل منهما يلعن ما يسميه « بالحثالة » التي تملأ الاسكندرية . ان عالميهما المتوازيين الباهتين يعيشان في احلامهما ، ولا وجود للاحلام في مصر الثورة . وبدهاء رمزي يعلن نجيب محفوظ فشل تلك الاحلام وعدم صلاحيتها ، فعندما يحاول طلبة بعد سهرة رأس السنة الصاخبة مضاجعة ماريانا تحت وطأة السكر واللهو تكون النتيجة عقم مريع وفشل ذريع ، فعجلة الزمان تدور ، وزمانهما قد ولى بعيدا وأضحى مجرد ذكرى وفشل : « حاولنا المستحيل » ، يقول طلبة لعامر وجدي ، « فعلنا كل ما يمكن تخيله ، ولكن بلا فائدة ، ولما تجردت من ملابسها تبدت كمومياء من شمع مذاب ، فقلت لنفسي يا للتعاسة ! » . ان الرمز البارع هنا واضح ، فالعالم القديم كله يبدو كالمومياء . وليست ماريانا وحدها بالقبيحة ، فطلبة المترهل قبيح وسخيف ايضا . كلاهما أضحى عقيما فاشلا ، وعقمهما هو عقم العصر المنصرم بمعتقداته وسياسته . تغير الزمان ، والحياة هنا لمصر الثورة ، مصر الكادحين، مصر الفتية . ان فشل طلبة وماريانا هذا هو فشل كل جيلهما عن الانتاج ، لقد توقف جيلهما عن الخصب ، عن العمل . أخيرا لا بد من التعرض السريع لتلك العلاقات المتبادلة الاخرى ، فهناك كراهية بين حسني علام ومنصور باهي ، ومحبة بين منصور باهي وعامر وجدي . وهذا دليل اخر على أهمية منصور كعنصر من عناصر التوازن. أما عامر وجدي الذي سيرى فيه عدد من القراء حتما شخصية مهمة فهو مجرد الراوي المحايد للقصة أولا وأخيرا .

*

تعكس الطبيعة في أدب محفوظ كما في أدب همنغواي وديكنز ودوستويفسكي وتولستوي انطباعات الافراد وشخصياتهم . فهي رمز اولي يمنح القارىء ادراكا مبدئيا للشخصية والحدث . اذن ، فللطبيعة مهمة رمزية في « ميرامار » : هي كونها خلفية للقصة Background تتنوع حسب تنوع الابطال والاحداث . ومع كل من شخصيات « ميرامار » يحرص نجيب محفوظ منذ البداية على منحنا حجر أساس لها من خلال رؤيتها الخاصة لطبيعة الاسكندرية . فعامر وجدي يرى في المدينة : « قطر الندى ، نفثة السحابة البيضاء، مهبط الشعاع المغسول بماء السماء ، وقلب الذكريات المبللة بالشهد والدموع » . وبالنسبة لحسني علام فوجه البحر « أسود محتقن بزرقة يتميز غيظا . يكظم غيظه . تتلاطم أمواجه في اختناق . يغلي بغضب أبدي لا متنفس له » . اما بالنسبة لمنصور باهي وهو يقف لاول مرة على الشرفة يتأمل البحر فيراه « ينبسط في زرقة صافية بديعة ، وتلعب أمواجه الهادئة بلآلىء الشمس » . ثم يقول : « غمرتني ريح خفيفة في ملاطفة منعشة ولم يكن في السماء الا سحابات رقيقة متفرقة . كاد يغلبني الحزن » . وبعد قليل نكتشف حزن منصور الحقيقي ونفسه الهادئة الحساسة . وعندما تتازم مشاكله تعكس

صدر حديثا

للشاعر عبد الوهاب البياتي

طبعة جديدة لواحد من اهم
دواوين الشعر العربي الحديث

منشورات دار الاداب ٢٠٠ ق.ل

رؤياه للطبيعة ذلك « الريح تسفع النوافذ بوابل المطر . هدير الامواج يقتحم اعماقي » . وتتوضح الرمزية أكثر فاكثر بصراحة لتكشف ان الطبيعة توجد من خلال عيون الانسان كرمز كما عند نائينال هوثورن وهرمن ملفيل وادغار آلن بو وبرونتي وغيرهم . ومحفوظ يذكر هذا بصراحة على لسان منصور : « عايشت العاصفة من وراء الزجاج .. حتى نعمت بالصفاء . شيء حدثني بان تلك الدراما انما تحكي أسطورة مطمورة في قلبي .. وتخط طريقا ما زال غامض الهدف .. أو تضرب موعدا في غمغمة لم تفهم بعد » . اما مع سرحان البحيري ابن الريف فتتردد عبارة « وتذكرت موسم جني القطن في قريتنا » . ولا أجد نفسي في هذا المجال مضطرا للتوضيح ، فعلاقة الطبيعة الرمزية بالانسان جلية تماما . فكما يقول كاتب المسرح الايطالي الشهير بيرنديللو : « لكل حقيقته ، يكفي أن تريد الايمان بذلك » . وهكذا فكل من شخصيات « ميرامار » له حقيقته عن الطبيعة . انها ليست موضوعية بل ذاتية تماما . والطبيعة لم تكن لتوجد الا بوجود الانسان . انها جماد عدمي بدونه ، وبدون حدة بصره وبصيرته .

*

لعل ما يميز قصص نجيب محفوظ عن قصص غيره من الكتاب العرب هو عمق ما أسميه « بالخلقية الفكرية » للاحداث والشخصيات. ان الحدث في أي قصة لنجيب ، وأخص بالذكر الشحاذ ، والسمان والخريف ، وثرثرة فوق النيل ، وميرامار ، يرتد الى فلسفة فكرية عميقة وتنظيم دقيق مدهش : حصيلة صعبة المنال وكنز ثري للمثقف العربي . وقد ذكرت قبل قليل القضية الجوهرية في « ميرامار » ، وهنا أحب أن أوجه نقدا طريفا لمحفوظ هو ان سرحان البحيري يستطيع أن يرمز للخيانة حسب رؤيتنا نحن ولكن ليس حسب رؤية منصور، فالخيانة الواضحة هي خيانته لزهرة فقط ، وهذا يحطم المعنى الفكري ويضعفه الى مستوى الاحداث العادية . كان يجب على محفوظ القاء الضوء على خيانات سرحان الاخرى وخاصة في العمل والا فستبدو تصرفات منصور الاخيرة ، كما بدت فعلا ، غير مقنعة رغم روعتها الرمزية . نقطة أخرى ألوم عليها محفوظ الى حد ما هي سلبيته وسوداويته في انتقاء الشخصيات ، فهم اما تائهون او مخادعون أو منحسرون أو عاجزون . انني أتساءل في قلق مع عديد من القراء : أين هو انسان الثورة اذن ؟ أين هي مظاهر مصر الاشتراكية ؟ سرحان خائن يكذب لسانه بما لا يؤمن ، ومنصور باهي مؤمن ضعيف الارادة عاجز عن التضحية . نحن لا نرى اذن الا الجانب المعتم ، الجانب الاسود من دنيا مصر العربية . أنا لا أطلب من محفوظ ان يكون موجها مباشرا ، او ان يكون بطله مطلق الايجابية ، فهذا من شأنه اضعاف فن القصة . انني أطلب منه أن يعطي من خلال امتداداته عبر المجتمع صورة للانسان الثوري في مصر ، مهما كانت جانبية ، كما فعل في « السكرية » مثلا ، ثالث ثلاثيته الرائعة . هذا ضروري لميرامار في اعتقادي ، فلم يكن ليكتب لمسرحيات هنري ابسن وبرنارد شو ، ولا لكبار قصاصي روسيا امثال غوركي وتولستوي ولا لاي كاتب عالمي النجاح والشهرة ، لو لم يقدموا بعض الشخصيات الايجابية مهمة كانت أم ثانوية . على كل حال ، ما يشفع لمحفوظ اديب قصتنا العربية الاول هو النتيجة شبه الايجابية لقضية منصور ، انه يركل الخيانة والتقاعس .. انه يطعنهما في خياله حتى الموت . لكن السؤال هو : هل يرى محفوظ في فلسفة الثورة بناء مرصوصا خاليا من المتناقضات ؟ انه لا يعطي جوابا محددا ، لكنه يبحث عنه بأمانة وشرف ، كأي مثقف متطور ، عميقا عميقا في عقل الانسان العربي وروحه وتاريخه .

دمشق — م. رياض عصمت

يا وطني

معذرة يا وطني
لانني لم أتلفع بالدما .. بالكفن
معذرة .. بل ألف معذره
لانني لم أحترق
في القدس .. في سيناء .. في القنيطره
لانني ما زلت أسترق
من قلبك الغارق في الدماء
بعضا من الهواء
بعضا من الضياء

***

يا وطني
طلبت أن أموت
فما استطعت
ولذت بالسكوت
فما استطعت
بكيت من أعماق قلبي فانفجرت
أهيم كالمجنون لا أعرف أن أقر
أين المفر
لمن يراك نازف الجراح
محطم الجناح
لسيفهم مباح ..
يا وطني ..
يا وطني

منير شفيق